أديب ديمتري

العرقية الصهيونية وتيار القومية الرجعية

٩ ـ العرقية الصهيونية

لم يكن من قبيل الصدفة أن يكون الممثل الأول والبارز للصهيونية السياسية المانيا ، وأن يبدأ حياته ثوريا رائدا بل واشتراكيا اسهم بنصيب هام في دفع الفكر الاشتراكي في المانيا واوروبا ، ثم ينقلب ويتحول الى الرومانسية الرجعية والعرقية والصهيونية : ونعني به موسى هس Hess, Moses وأن ينشر كتابه الذي عبر فيه عن ارتداده وصهيونيته وعرقيته « روما والقدس » سنة ١٨٦٢ .

لم يكن ذلك من قبيل الصدفة ابدا ، فقد جسد هذا الرائد والداعية الأول لهذا الشكل الجديد من العرقية اليهودية ، بشخصه وشخصيته وتطور فكره ، حركة الردة العامة ، والتراجع الشامل في حركة الثورة في اوروبا . كان تطور حياته وفكره يعكس الحركة العامة في اوروبا ، وليس بين اليهود وحدهم ، من حيث استيلاء الرجعية السوداء والطبقات البورجوازية الكبيرة على زمام السلطة وعلى العقول ، ايضا بين اقسام واسعة من جماهير البورجوازية الصغيرة والشعب ، وارتدادها بحركة القومية الأوروبية من طور الى طور آخر : فقد تحولت القومية الديمقراطية البناءة والصاعدة على يد البورجوازية الثورية خلال الفترتين الثامن عشر والنصف الأول من القرن التاسع عشر الى قومية رجعية شوفية وعنصرية منتكسة ومنهارة بزعامة هذه الطبقات الرجعية الجديدة والقديمة في النصف الآخر من القرن . كانت الأولى حركة بناء الامم ، وحركة وحدة وعقلانية ، بينما كانت الثانية حركة تراجع وهدم وانحلال حيث تتمزق الامة وتنحل الى اعراق واديان متصارعة متقاتلة . وقد تحالفت البورجوازية الكبيرة الرجعية مع النبالة القديمة وبقايا الاقطاع لصد موجة الثورة الاشتراكية والراديكالية العارمة في اوروبا ، وكان لا بد أن تخفى اسباب الصراع الحقيقية عن أعين الشعوب في لجة من الهمجية والعرقية ، فاصبحت : الأرض والدم والحديد شعاراتها . على انقاض العقل والتقدم ، وأصبح هدم الامم لابنائها ، والقهر لا التحرير هو رسالتها « الالهية » .